

**لقاء العدد**



**فضيلة الشيخ  
عبدالله بن عبدالعزيز بن  
عبدالله بن رشيد\***

حوار: محمد بن عبدالله المقرن

---

\* عضو الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً.

ضيفنا في هذا العدد.. من رجال القضاء، ولد في الرس وتعلّم في الكتاتيب، وتلمذ على كبار القضاة في بلده، عمل في القضاء قاضياً ورئيساً ومفتشاً، وانتهى به العمل الوظيفي بعد أن طلب الإعفاء عضواً في مجلس القضاء الأعلى.  
زرتة في منزله العامر بالرياض فسعد ورحب بي كثير، فكان هذا اللقاء مع الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن رشيد.

كتاب خاص من تلك المطولات وكان وقت دراسة الفرائض والنحو بعد صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء، أما المطولات فوقتها بعد طلوع الشمس إلى نصف الضحى تقريباً، وبعد صلاة الظهر إلى النصف بينها وبين العصر، وأحياناً أقل من ذلك إذا كان هناك خصومات، لأن فضيلته هو قاضي البلد كما تقدم، وينظر القضايا بعد الدرس في المسجد، وأحياناً في بيته لأنه لا يوجد أماكن للمحاكم في ذلك الوقت، وكان رحمه الله لا يتقيد بوقت في نظر الخصومات بل متى حضر الخصوم جلس لهم وسمع ما لديهم، كغيره من القضاة في ذلك الوقت، وكان رحمه الله قليل ذات اليد ولا يوجد لديه شيء من المال، وعنده أسرة كبيرة، وكان أحياناً يضطر للاستدانة من أجل حاجته وأسرته، وفي عام ١٣٦٥هـ ألف وثلاثمائة وخمسة وستين هجرية صدر أمر من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بنقله إلى قضاء بلدية الخرمة بناء على طلب أميرها في ذلك الوقت الشريف خالد بن لوي، وسافر إلى هناك فحزن الطلبة والأهالي لذلك، وكان رحمه الله على جانب كبير من العلم والأخلاق الفاضلة والتواضع، والسيرة الحسنة، وبذل النصيحة للجميع، ولما أحيل على التقاعد سكن في مدينة الطائف حتى توفي فيها رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.  
بعد سفر شيخنا إلى مقر عمله في الخرمة وبعد مضي بعض الوقت نقل إلى قضاء بلدنا الرس فضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم ابن طاسان رحمه الله وكان قد تولى القضاء قبل ذلك في عدد من المحاكم وبعد وصوله استمرت الجلسات عليه

ولدت عام ١٣٤٢.. وتعلمت في  
الكتاتيب

■ نود في بداية لقاءنا أن تحدثونا عن نشأتكم وبدايتكم في طلب العلم  
ولدت في مدينة الرس بالقصيم عام ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين سنة ١٣٤٢هـ حسب قول والدتي رحمها الله، ولما بلغت من العمر ثماني سنين التحقت بإحدى المدارس، الكتاتيب، المعروفة في ذلك الوقت، وبدأت في تعلم حروف الهجاء، وقصار السور من القرآن الكريم عند المعلم حمد بن العم ناصر الرشيد - رحمه الله - ثم انتقلت إلى مدرسة أخرى، كان أستاذنا فيها ناصر بن سالم الضويان - رحمه الله - وأكملت فيها حفظ القرآن الكريم نظراً في المصحف، وتعلمت الكتابة في الألواح الخشبية المستعملة في ذلك الوقت، ولما بلغت من العمر اثنتي عشرة سنة بدأت مع عدد من الزملاء بالدراسة على فضيلة شيخنا قاضي الرس محمد بن عبدالعزيز ابن رشيد رحمه الله، في ثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد، وآداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وفي منظومة الرحبية في الفرائض، والأجرومية والملحة في النحو، وذلك نظراً في المرة الأولى، وفي المرة الثانية كلفنا الشيخ بحفظ تلك المتون وشدد علينا في ذلك، ثم استمرت دراستي عليه كبقية الزملاء بكتاب زاد المستقنع وبلوغ المرام حفظاً، وكان رحمه الله يشرح ويوضح ما نقرأ عليه، ثم بدأنا في القراءة على فضيلته بالمطولات كالصحيحين، والسنن الأربع لأبي داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه وشروح الحديث والفقه، وكل طالب يقرأ في

## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

الأمر بالمعروف بالحجاز رحمه الله، وأكد علينا بسرعة السفر وأخذ علينا تعهداً بذلك، فسالناه عن السبب الداعي إلى ذلك فقال إنه لا يعلم شيئاً عنه وعرض علينا البرقية، وفي ذلك الوقت كان يوجد خلاف بين جماعتنا بخصوص تعيين هيئة الأمر بالمعروف، وترجع لدينا ولدى غيرنا أن القصد من طلبنا إلى مكة هو تعييننا في عضوية هيئة الأمر بالمعروف في بلدنا، فتوجهنا إلى مكة ولما قابلنا سماحة الشيخ عبدالله بن حسن أخبرنا أنه ورد إليه برقية من سمو ولي العهد سعود بن عبدالعزيز تتضمن تعييننا قاضيين في جنوبي المملكة فدار بيننا وبين الشيخ كلام طويل في عدم قبولنا للقضاء، وأخيراً قال لنا بالحرف الواحد: إنه سينفذ ما ورد إليه من ولي الأمر سواء قبلنا أم لم نقبل. ولهذا قال إذا كان لديكم اعتذار فاعتذروا من ولي العهد، فخرجنا من عنده وأبرقنا لولي العهد عدة برقيات متوالية نعتذر عن وظيفة القضاء، وأخيراً تلقينا الجواب برقياً من رئيس ديوان ولي العهد، قال فيها ما نصه: راجعوا الشيخ عبدالله بن حسن وتجدون سنعمكم عنده، ولما ذهبنا إلى الشيخ عبدالله عرض علينا برقية من ولي العهد موجهة للشيخ عبدالله، قال فيها: يعتمد تكليف المذكورين وسرعة توجههم إلى أعمالهم وعدم قبول اعتذارهم، وإفادة سموه بذلك، فقال لنا الشيخ: اذهبوا لتكميل لوازم الرحلة وبعد خمسة أيام عودا إلينا، ولما رجعنا إليه وجدنا أنه أصدر لكل واحد منا قراراً موضحاً فيه مقر عمله، وتعيينه فيه، وكان القرار الخاص بي يحمل العدد ٢٨١٦ في ١٤/٤/١٣٧٢هـ يتضمن تعييني قاضياً في محكمة المنطق براتب شهري قدره أربعمئة ريال وعشرون ريال (٤٢٠) كما أعطى كل واحد منا صورة خطاب موجه من سماحته لمدير الشركة العربية للسيارات لتأمين سيارة لنقله إلى مقر عمله.

■ كيف ذهبتم إلى المنطق في ذلك الوقت وما هي الصعوبات التي واجهتكم؟

سافرت إلى بلدة المنطق، وتعبنا نحن والسيارة تعباً كثيراً، لأن الطريق صعب جداً يتخلله جبال شاهقة وأودية وشعاب وغابات من الأشجار

عينت بالقضاء بأمر الملك سعود  
- رحمه الله -

كسلفه، ولأن المدارس الرسمية فتحت في بلدنا كغيره من نواحي المملكة، رغب كثير من الزملاء الالتحاق بالتدريس ولم يبق منهم إلا القليل وكنت من ضمن الباقين، وواصلنا الدراسة على فضيلة الشيخ صالح، وكانت سيرته مع الجميع طيبة جداً، وكان رحمه الله حريصاً على المطالعة في كتب الفقه، ويجلس للخصومات في بيته، ولا يصدر حكماً إلا بعد التأكد من صحته ومطالبته لما ذكره أهل العلم، وكثيراً ما كان يستشير بعض تلاميذه فيما يشكل عليه، لأن القضايا بدأت تزداد كثرة وصعوبة، أسأل الله العلي القدير أن يرحم شيخنا الأول محمداً ابن رشيد، وشيخنا الأخير صالحاً ابن طاسان وأن يجزيهما عنا وعن المسلمين أحسن الجزاء وأن يغفر لنا ولهما ووالدينا وجميع المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه، مع العلم أن شيخنا صالحاً الطاسان لما أحيل على التقاعد بقي في مدينة الرس مسقط رأسه، حتى توفي فيها ولا زلت أتذكر مجالس وحلقات شيخينا الفاضلين رحمهما الله.

■ كان لتعيينكم في القضاء قصة عجيبة.. هلا اطلعنا القراء عليها؟

في وسط شهر ربيع الأول من عام ١٣٧٢هـ ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين هجرية كنت في دكان والدي رحمه الله في بلدنا الرس، فدخل علينا خادم أمير الرس وأبلغني أن الأمير يطلب حضوري لديه فوراً، فذهبت إليه ووجدت عنده زميلي في الدراسة وصديقي الخاص الشيخ منصور بن صالح ابن ضلعان رحمه الله، وهو أكبر مني سنناً بحوالي عشر سنين، فأبلغنا الأمير رحمه الله أنه ورد إليه خطاب عاجل من أمير القصيم، يطلب حضورنا إليه في مدينة بريدة فسافرنا إليها ولما دخلنا مجلس الأمير لم نجد، بل وجدنا وكيله، وأمير القصيم العام في ذلك الوقت هو سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد، أمر الحدود الشمالية حالياً، وقد أخبرنا الوكيل أنه قد ورد إلى الإمارة برقية عاجلة من ولي العهد سعود

بن عبدالعزيز رحمه الله بتكليفنا بالسفر حالاً إلى مكة المكرمة ومقابلة سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة وهيئات

مكة حتى ما ذكرناه وما يأتي إيضاحه في محله إن شاء الله مما يطول وصفه، وكثيراً ما كنا نتمثل بقول الشاعر: إذا لم يكن إلا الأسننة مركباً

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وقول الآخر:

وقل من جد في أمر يحاوله

واستصحب الصبر إلا فان بالظفر

وأمر المندق في ذلك الوقت هو إبراهيم بن ناصر ابن داود من أهالي حوطة بني تميم، وهو رجل حازم في عمله وأخلاقه كريمة، وله هيبه عند الأهالي، وكان ينفذ ما يرد إليه من أحكام دون تردد، وقد بذل معنا جهداً كبيراً في الحصول على استئجار موقع المحكمة وموقع السكن، وبعد وصولنا بحوالي ثلاث سنين نقل الأمير إلى مركز بني مالك التابع لإمارة الطائف، ولما أحيل على التقاعد سكن في الرياض حتى توفي رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء، وكان يسمى «الطارفة» بدلاً من اسم الأمير كغيره من الأمراء المرتبطين بالإمارات الرسمية في تلك الجهات.

بعد حوالي شهر وجدت محلاً في وسط البلد صالحاً للمحكمة نسبياً فاستأجرته واستمر العمل فيه، ولأن أهالي المنطقة، أغلبهم أو كلهم مزارعون، وكل منهم مشغول بعمله ويشق على أرباب الدعاوى وتابعيهم الحضور إلى المحكمة في الصباح الباكر، كما يصعب عليهم وعلى أهل البلد البقاء إلى اليوم الثاني، نظراً لقلّة البيوت وضيقتها، وعدم وجود أماكن للبقاء فيها، وتضرر سكان البلد من كثرة الضيوف عليهم، وقلّة أحوالهم المادية، والمتخاصمون يكونون في أغلب الأحوال جماعات متعددة رجالاً ونساءً لذا قررت العمل من الصباح حتى بعد الظهر بساعتين، وبعد العصر إلى غروب الشمس، وأحياناً تدعو الحاجة أو الضرورة إلى العمل بعد المغرب، وقد حصل من جراء ذلك إنجاز لكثير من الأعمال وراحة وتسهيل على أهل الخصومات وعلى أهل البلد، بل على القاضي نفسه، لأن ما ينتهي من الدعاوى لا يعود مرة ثانية، وقد كنت في أول الوقت

أباشر العمل بنفسي نظراً لعدم وجود كاتب ضبط، وكلما عين كاتب اعتذر عن العمل بسبب عدم الرغبة في المنطقة، أما

الكثيفة الكثيرة، وبقينا في الطريق يومين وليلتين، ولما كان بيننا وبين بلدة المندق عشرة أكيال أو أكثر وجدنا سيارة متوجهة إلى تلك الجهات، وكانت واقفة عند قهوة عبارة عن كوخ من الخشب والشجر، وعلمنا أن موقع تلك القهوة هو منتهى الطريق الذي تسلكه السيارة بكل صعوبة، وما بعد ذلك لا يمكن سلوكه للسيارة كلياً، وإنما مشياً على الأقدام، أو على دواب، وكان معي شابان من الأقارب طلبا مرافقتي لمدة أسبوع، فاستأجرنا خمسة جمال لحمل أمتعتنا إلى البلدة، كما استأجرنا دواباً لركوبنا، ولما سرنا قليلاً نزلنا عن تلك الدواب، وفضلنا المشي على الأقدام لأنه أسهل لأن الطريق كله جبال شاهقة، ومنحدرات عميقة وأشجار كثيفة، وصعود ونزول ومدرجات خطيرة، وقد سقط بعض أمتعتنا عدة مرات من فوق الجمال بسبب وعورة الطريق، ولما وصلنا بلدة المندق لم نجد محلاً للسكن ولا للعمل ولو مؤقتاً، ولما علم الأمير بذلك قال إنه يوجد غرفة واحدة قد استأجرها بعض أخوياء، وهو في إجازة، ومن حسن الحظ أن مفتاحها موجود عند الأمير ففتحها لنا وأدخلنا عفشنا وأمتعتنا في آخرها، وبقينا في أولها نرقد ونستريح، وكان معنا دواوير فاز قديمة استعداد للشاي والطبخ البسيط، ولا يوجد في البلد دكاكين، ولا قهاوي ولا غيرها، ومن حسن الحظ أننا قد سألنا عن البلد قبل السفر إليه وأخذنا ما يلزم لنا من مكة المكرمة وبقينا في تلك الحجرة عشرة أيام أو أكثر، ولما علم الأهالي بوصول القاضي راجعوا الأمير بكثرة بخصوص معاملاتهم، لأنه لا يوجد لديهم محكمة ولا قاض في بلادهم قبل وصولي إليهم، وإنما أنا الذي فتحت المحكمة عندهم لأول مرة، ثم تفاهمت مع الأمير واتفقنا على إحالة المهتم من المعاملات والدعاوى التي لا تقبل التأخير، وكنت أنظر تلك القضايا في خيمة نصبناها في برحة أمام الحجرة التي نسكن فيها، وانتهى كثير من القضايا المذكورة صلحاً ولله الحمد، وبعد حوالي عشرة أيام وجدنا شخصاً عنده طابق علوي قد قسم نصفين فاستأجرناه مؤقتاً بواسطة الأمير وجعلنا العمل في نصفه وسكناً مؤقتاً في النصف الآخر، وبعد أسبوعين

استأجرنا طابقاً للسكن مجاوراً للمحكمة، ثم استمر العمل، وقد قاسينا الأمرين من جميع النواحي منذ توجهننا من

كنت أول قاض للمندق وبرتاتب  
شهري ٢٤٠ ريال

## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

متيسرة ليلاً ونهاراً برأ وجواً وبحراً، والاتصالات الهاتفية موجودة في كل حجرة، بل في جيب كل من يريدها، والراتب الشهري كثير جداً، فراتب القاضي في الشهر عندما يعين الآن في القضاء لأول مرة يعادل أكثر من راتب عشرين قاضياً في الشهر، في ذلك الوقت، مع أن العمل بالعكس مع الأسف، ومع هذا كثير من الأخوان هانا الله وإياهم عندما يعين أحدهم قاضياً في الوقت الحاضر يتمنع ولا يقبل إلا في بلد مخصوص، مع أن تعيين القضاة وتوزيعهم على المحاكم يكون من مجلس القضاء الأعلى بموجب قرعة وبعضهم يحاول تقديم استقالته قبل أن يباشر عمله.. وبعضهم يعتذر بأعذار غير صحيحة.. وبعضهم يباشر العمل صورياً شهراً أو نحوه ثم يغيب عدة أشهر، وتتعتل القضايا ويضيع كثير من حقوق الناس بسبب ذلك وكثير منهم يعتذر بمرض والدته ويزعم أنه لا عائل لها غيره، ويتضح أن الواقع خلاف ذلك، ولو أنه حصل له دراسة في الخارج أو في موضع يهواه لذهب مسرعاً ونسي والدته وغيرها، إلى غير ذلك مما يطول ذكره، ولا أقول ذلك جزافاً بل إن ماتركت أكثر مما ذكرت لأنني عملت في المجلس الأعلى للقضاء عضواً أكثر من عشرين سنة ويعرض عليّ من ذلك الشيء الكثير، أسأل الله العليّ القدير أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أما عن بلدة المنندق فهي تقع في وسط ديار بني كنانة من قبائل زهران وفيها المركز الرئيسي لمعوم بلاد زهران منذ دخول الحكومة للحجاز، وتعاقب عليها عدد من الأمراء وهي مرتبطة الآن بإمارة الباحة، وفي عام ١٣٧٢هـ فتحت فيها المحكمة الشرعية كما تقدم، وبعد ذلك بحوالي سنتين أحدث فيها مركز شرطة، ثم مركز هيئة الأمر بالمعروف، ثم تتابع فيها وجود الدوائر الحكومية كاملة، والمنطقة كلها هواؤها طيب جداً وفيها جبال شاهقة مغطاة بغابات كثير من الأشجار المتنوعة والمناظر الخلابة، وفيها أودية كبيرة تجري على الدوام من مياه الأمطار المتتابعة ويسمع صوت جريانها من بعيد، وقد شاهدت ذلك بنفسي منذ وصولي إليها في عام ١٣٧٢هـ حتى عام ١٣٨٠هـ ثم بدأت الأمطار تقل شيئاً فشيئاً بقدرة الله عز وجل، ولما زار

تبيض الصكوك وتسجيلها فكنت أقوم به ليلاً على نور الأتريك القديم الذي يعمل بالقاز وكنت أجد راحة واطمأنناً لأن عمل الإنسان بيده غير الذي يعمله غيره له.

ما ذكرته فيما سبق من حصول التعب والمشقة حسيماً ومعنوياً، قليل من كثير وقد يستغرب ذلك أو لا يصدق به أو يبعثه من لا يعرف تلك الجهات وصعوبة طرقها وعدم وجود أقل الحاجات الضرورية فيها في ذلك الوقت، وعدم وجود مركز لاسلكي (برقيات) ولا بريد مستمر، وقد يقول قائل ما الداعي لذكر ما تقدم، وهو شيء قد وقع وانقطع وانتهى في حينه، والجواب أن هذا الاستغراب صحيح، ولكني ذكرت بعض الواقع أو قليلاً منه ليعلم إخواني من طلبة العلم الذين يعينون قضاة في المحاكم في هذه الأوقات ما كان يعانیه اخوانهم وسابقوهم من القضاة في ذلك الوقت من التعب والمشقة، وشطف العيش، والصبر على طعام واحد، هو الشابورة الخشنة اليابسة، والشاي فقط، فلم يكن الحليب المستورد موجوداً بل ولا معروفاً لا سائلاً ولا بورد، ويا ليت تلك الشابورة تصنع أو توجد في البلد، ولكنها يؤتى بها من مكة المكرمة بكل صعوبة، وبتوصية خاصة من طالبها وبأجرة باهظة، لأن أهل البلد لا يعرفونها ولا يأكلونها، وإذا لم توجد تلك الشابورة نعود إلى ما ذكرته أم المؤمنین عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن طعام رسول الله ﷺ وأهل بيته، فقالت: كان يمضي علينا الشهر والشهران وطعامنا الأسودان التمر والماء، أو كما قالت رضي الله عنها، ولا أقول لأننا نفعل ذلك تطوعاً ولكن لعدم وجود غيرهما، وليس ما ذكرته حصل عليّ أنا وحدي، بل عاناه كثير من إخواني القضاة الذين سيقوني وعملوا في تلك الجهات، وقد قابلت عدداً منهم في مكة المكرمة قبل سفري إلى المنندق وأخبروني بذلك، واستفدت منهم معلومات كثيرة وحسبت لذلك حساباً ووجدت ما ذكره صحيحاً، وأعود إلى تذكير إخواني الذين يعينون في القضاء أول مرة بما تقدم وعليهم أن يحمدوا الله ويشكروه على نعمه الظاهرة والباطنة، فأمورهم الآن ميسرة والطرق معبدة، والمسكن متوفرة والطعام والشراب موجودان في الطرق والمدن والقرى، والمواصلات

كنت أنظر إلى المعاملات والدعاوى  
داخل خيمة

مضاربات، ولكن مشايخ قبائلهم وعرفاءهم وأعيانهم وأهل الخير منهم كثيراً ما يتدخلون بالإصلاح بينهم فيما يتعلق بالحقوق الخاصة، وجميعهم إذا عرفوا الشخص مهما كان ووثقوا به سواء أكان من قبائلهم أم غيرها، فهم كثيراً يقبلون نصحه وإرشاده، وكم من قضايا كانت متعقدة منذ سنين، حلت بفضل الله عز وجل ثم بمساعدة أهل الخير، وكانت محكمة المنديق هي الوحيدة في بلاد زهران، والآن عندهم خمس محاكم، في المنديق، والقرى وبيدة، وبلاد دوس، وبلاد بني حسن، أسأل الله عز وجل التوفيق والنجاح للجميع.

■ ما هي الأعمال التي مارستها وعلمت بها خلال رحلتكم وحياتكم في مجال القضاء؟

- بقيت في محكمة المنديق حتى النصف من عام ١٣٨٣هـ أي أكثر من إحدى عشرة سنة، ثم صدر أمر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة - رحمه الله - بنقلي مساعداً لرئيس محاكم الأحساء، ولما علم الأهالي بذلك أبرقوا لسماحته عدداً من البرقيات طلبوا فيها من سماحته العدول عن أمره السابق، فلم يستجب لهم كما سافر أشخاص من أعيانهم إلى الرياض وقابلوا سماحته وتكلموا معه في الموضوع، ولكنه - رحمه الله - طيب خواطرهم، وأخبرهم أنه أمضى عزمته، فسافرت إلى الأحساء لمباشرة العمل هناك، وكان رئيس محاكم الأحساء في ذلك الوقت فضيلة الشيخ صالح بن علي ابن غصون - رحمه الله - وكان فقيهاً حازماً في عمله ناجحاً في رئاسة المحاكم، وفي عام ١٣٩٠هـ ألف وثلاثمائة وتسعين هجرية نقل إلى عضوية محكمة التمييز في الرياض، وعينت بعده رئيساً لمحاكم الأحساء، وفي عام ١٣٩٦هـ ألف وثلاثمائة وستة وتسعين هجرية عينت عضواً في محكمة التمييز في الرياض، وقبل مباشرتي العمل فيها صدر أمر من وزارة العدل بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى يقضي بسفري للتفتيش القضائي على محاكم المنطقة الغربية، والغربية الشمالية ابتداء من محكمة الطائف وضواحيها، ثم محاكم منطقة مكة المكرمة، ثم محاكم منطقة الجوف وبعد رجوعي من تلك المهمة باشرت عملي في محكمة التمييز

## ما قصة «الشابورة» التي يؤت بها من مكة المكرمة

الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - منطقة بلاد غامد وزهران في عام ١٣٧٤هـ وصل إلى بلدة المنديق، وبقي فيها بعض النهار، وكان مسروراً جداً ثم جلس على مكان مرتفع، وطلب الناظر «الدربيل» وجعل ينظر غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً وأبدى إعجابه بتلك المناظر، وقال إن منظر هذه الجبال وشعابها شبيه بمنظر سويسرا، أو أحسن، وفي الحال أمر رئيس المكتب ببعث برقية لسمو الأمير فيصل رحمه الله لإرسال جهاز لاسلكي بكامل معداته وموظفيه إلى بلدة المنديق، وبعد أسبوع أو أقل وصل الجهاز المذكور وجرى تركيبه في الحال ورفع الأهالي مئات البرقيات للملك سعود وللأمير فيصل أعربوا عن شكرهم وامتنانهم بهذه المكرمة الطيبة التي كانوا يتمنونها منذ وقت طويل، مع العلم أنه قبل وصول الملك سعود إلى بلاد غامد وزهران بحوالي شهر وصل عدد من الدركرات، والقلابات والمعدات لتمهيد الطرق، وكانت تلك المعدات تعمل ليلاً ونهاراً في إصلاح الطرق وتمهيدها، وانتفع الناس بذلك كثيراً لكن لم يدم ذلك لأنه بعد مغادرة الملك سعود للمنطقة بحوالي شهر أو أكثر تتابعت الأمطار كالعادة، وتعطل كثير من الطرق من جراء ذلك، وفي هذه المنطقة يكثر هطول الأمطار طوال أيام السنة، وتتراكم السحب، ويكثر الضباب، وأحياناً نمكث شهراً كاملاً أو أكثر لا نرى الشمس كلياً، ويكون الوقت في النهار كأنه وقت صلاة المغرب، وفي عام ١٣٧٤هـ حصل كسوف الشمس، ولم يشعر به أهالي المنطقة بسبب كثرة السحب والضباب، ولم نعلم بالكسوف إلا بعد يومين أو ثلاثة من الأشخاص الذين قدموا من مكة المكرمة.

أما عن أحوال أهالي المنطقة، فهم أناس طيبون جداً، وكانوا على الفطرة السليمة ولا يوجد بينهم أجنبي في ذلك الوقت، وفيهم كرم كثير رغم أن أحوالهم المادية كانت ضعيفة، وفيهم شجاعة ونخوة وتعاون فيما بينهم، ولما فتحت عندهم المدارس والدوائر ودخلت السيارات بلادهم وكثر الأجانب تغير كثير من أحوالهم وعاداتهم كغيرهم من الناس، أما بلادهم فهي واسعة جداً والسكان كثيرون والخصومات بينهم كثيرة أغلبها في حدود الأملاك والاختصاصات ومجاري المياه للمزارع، والأحوال الشخصية وغيرها، وأحياناً يحصل بينهم

## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

طويل، وقد شهد بفضلته القريب والبعيد ولما قدم العلماء المصريون للتدريس في المعاهد العلمية في أول افتتاحها حوالي عام ١٣٧٠هـ واجتمعوا بسماحته عدة مرات تعجبوا من سعة علمه واطلاعه، وقال كثير منهم أو كلهم: إنهم وجدوا سماحته دائرة معارف، وما كانوا يظنونهم هكذا، وقد صدقوا في ذلك، فالشيخ رحمه الله في وقته كان مفتياً للمملكة ورئيساً للمعاهد العلمية والكلية والجامعة الإسلامية، وأئمة المساجد والمؤذنين ودور الأيتام ومشرفاً على مدارس تعليم البنات، وهيئات الأمر بالمعروف، وغير ذلك مما يطول ذكره، إضافة إلى حلق التدريس لطلبة العلم للكبار ليلاً ونهاراً، وقد قام رحمه الله بتلك الأعمال وغيرها بجد ونشاط واجتهاد وحزم وعزم وحسن تصرف وعمل مستمر قد لا يقدر عليه عشرات أو مئات الرجال، كما هو موجود الآن، ولله در ابن دريد في مقصودته التي يقول في بيت منها:

والناس ألف منهم كسواحد

وواحد كالألف إن أمر عنى

ويحسن هنا ذكر الحديث الوارد في الصحيحين عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الناس كابل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة واحدة»، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، والله عز وجل فضل بعض الرسل على بعض، وبعض النبيين على بعض، وبعض الصحابة على بعض، وبعض المساجد على بعض، وبعض الدقاع على بعض.. إلى غير ذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وكان الشيخ رحمه الله مرجعاً وسنداً ومستنداً للقضاة خاصة، ولطلبة العلم عامة وحاجزاً وسدّاً منيعاً قوياً عن أمور كثيرة، ولما توفي رحمه الله انتلم ذلك السد وخرج ما وراءه، فإننا لله وإنا إليه راجعون، كثير من الناس لم يعرفوا قدر الشيخ إلا بعد وفاته، كما قال الشاعر:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم

وفي الليلة الظلماء يفقد البدر  
وكان الملك عبدالعزيز،  
والملك سعود، والملك فيصل  
رحمهم الله يكرمون الشيخ،  
وكثيراً ما كانوا يأخذون رأيه

بالرياض، وفي وسط عام ألف وأربعمائة وثلاثة هجرية ١٤٠٣هـ عينت عضواً في مجلس القضاء الأعلى حتى أحلت على التقاعد في وسط عام ١٤١٢هـ ألف وأربعمائة واثنى عشر هجرية، ثم صدر أمر ملكي ببقائي في عضوية المجلس بالتعاقد وتكرر ذلك مرة بعد أخرى حتى ١/٧/١٤٢٣هـ ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين، ثم أبديت رغبتي في عدم الاستمرار في العمل، وكانت مدة بقاءني في العمل المتواصل في محكمة المنطق، ثم محكمة الأحساء مساعداً ثم رئيساً للمحاكم، ثم في عضوية محكمة التمييز بالرياض ثم في عضوية المجلس الأعلى للقضاء، إحدى وخمسين سنة، وعدة أشهر كما أنه طوال عملي في محكمة المنطق، ثم في محاكم الأحساء أكثر من أربع وعشرين سنة متواصلة لم ينقض لي حكم واحد، بل لم يلاحظ على أي حكم حكمته لا من هيئة التمييز ولا غيرها وهذا من فضل الله عز وجل ونعمه التي لا تعد ولا تحصى فله الحمد والشكر.

■ من هم أبرز مشايخكم الذين درستهم عليهم؟

– أما مشايخي الذين درست عليهم، فهم أولاً فضيلة الشيخ محمد بن عبدالعزيز ابن رشيد قاضي الرس في وقته، ثم فضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم ابن طاسان، قاضي الرس أيضاً، هذان الشيخان هما اللذان درست عليهما مع زملائي دراسة مستمرة في الجملة كما تقدم، أما مشايخي بالمراسلة، فهم أولاً فضيلة علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر ابن سعدي، ثانياً: سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة في وقته، الشيخ محمد بن إبراهيم، ثالثاً: رئيس مجلس القضاء الأعلى في وقته، الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد، رحمهم الله رحمة واسعة وجمعنا بهم في دار كرامته وإخواننا المسلمين إنه جواد كريم.

■ كان لكم ذكريات مع العديد من العلماء.. هلا ذكرتم أبرز هؤلاء العلماء وذكرياتهم؟

– أما سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – فهو أشهر من نار على علم، وتعداد مناقبه ومحاسنه وأعماله يحتاج إلى وقت

## عملت في القضاء أكثر من خمسين عاماً



والمدينة ولم يوفق لأحد إلى حلها، فنظر فيها وحلها بأحكام شرعية وصكوك مسجلة كثيرة وقد شكره المسؤولون، والأهالي على ذلك، وكان حازماً في جميع أعماله، وعنده ذاكرة قوية، وفراصة جيدة رحمه الله، وله فتاوى كثيرة مهمة جداً مسجلة بصوته في برنامج على الدرب، وأسفأ، لم تطبع تلك الفتاوى مع أهميتها وحاجة الناس إليها، وقد سمعت وسمعت غيري أنها قد كتبت في حياته وقرئت عليه كاملة ووافق على طبعتها، ولكنه مرض وتوفي قبل أن تطبع فنسيت وبقيت في الدواليب والخزائن والكراتين، وكان غيرها أحق بالسجن منها وعسى الله أن يقبض لها من يقوم بطبعتها، وأعتقد أنه لو طلب من الكثيرين من أهل الخير من يفعل ذلك لاستجابوا بسرعة، وما أكثر المحسنين في بلادنا ولله الحمد.

من أعظم المصائب على الإسلام والمسلمين أنه في الخمسين سنة الماضية توفي في المملكة عدد كبير من العلماء المشهورين من القضاة وغيرهم من طلبة العلم توفي ما يزيد على المائة، مثل علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي، ومفتي المملكة ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالعزيز ابن باز، والشيخ عبدالله ابن حميد، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبدالعزيز ابن رشيد والشيخ محمد ابن عثيمين، والشيخ صالح ابن غصون وغيرهم ممن يطول ذكرهم، وقد تركوا فقراً كبيراً لم يسد فإننا لله وإنا إليه راجعون غفر الله لنا ولهم وإخواننا المسلمين وما أحسن قول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم

وأرى حماة الحي غير حمايتها

ومتى يدرك الضالع شأوا الضيلع

أسأل الله عز وجل أن يرحم الماضين من علمائنا ويصلح الباقيين، ويحسن هنا ذكر الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن مرداس السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة، والحفالة

## طوال عمري في القضاء لم ينقض لي حكم واحد

في قضايا مهمة ورد ذكر شيء منها في فتاوى الشيخ المطبوعة، وأما طلبة العلم الذين درسوا على سماحته فهم كثيرون جداً يعدون بالمئات، وكثير منهم أسندت إليهم أعمال مهمة في رئاسة وعضوية الهيئة القضائية العليا، ورئاسة وعضوية المجلس الأعلى للقضاء، وعضوية ورئاسة محالكم التمييز، ورئاسة وعضوية المحاكم الكبرى في أنحاء المملكة، ورئاسة المعاهد العلمية ومدرسيها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وذلك في حياة الشيخ وبعد وفاته أكثر، وكثيراً ما يمتاز تلامذة الشيخ على غيرهم في الجملة وذلك لأنهم أخذوا العلم صافياً من مصدر غزير، ومن المعلوم أن جودة المعلم وإرشاده لها أثر كبير في المتعلم، كما أن لهم فضل القدم على من بعدهم، وقد تفوق ونجح من بينهم عالمان جليلان، وشيخان فاضلان فاقا أقرانهما، وهما سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز وشهرته تكفي عن تعريفه، وقد عمل في القضاء ثم في التدريس في المعاهد العلمية ونائباً ثم رئيساً للجامعة الإسلامية، ورئيساً للجنة الدائمة والبحوث العلمية والإفتاء وعضوية ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية هيئة كبار العلماء، وقد بذل نفسه، وصحته وجهده للإفتاء ليلاً ونهاراً شفوياً وكتابياً وهاتفاً لجميع من يسأله من داخل المملكة وخارجها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وقد جمعت فتاواه وطبعت في عدة مجلدات كبار وله أعمال طبية كثيرة معلومة لدى الجميع، غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين.

أما العالم الثاني فهو سماحة الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد، وشهرته تكفي أيضاً عن تعريفه، وقد عمل رئيساً عاماً لمحكمة منطقة القصيم، ومدرساً لكبار الطلبة هناك مدة طويلة وحصل منه نفع كثير للعموم في القضاء والتعليم، ولما نقل من القصيم تأسف عليه الجميع من القضاة، وطلبة العلم وغيرهم، كما عين رئيساً لشؤون الحرمين ورئيساً للمجمع الفقهي، ورئيساً وعضواً لمجلس كبار العلماء ورئيساً لمجلس القضاء الأعلى، كل شيء منها في وقته، وغير ذلك مما يطول ذكره، كما انتدبته الحكومة لحل قضايا قديمة جداً مضى عليها عشرات السنين، في منطقة مكة المكرمة



## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

الجليل الشيخ سعد بن حمد ابن عتيق، وهو أستاذ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحم الله الجميع، ومن هذه القصيدة قوله:

أهكذا البدر تخفي نوره الحفر  
ويفقد العلم لا عين ولا أثر  
خبت مصابيح كنا نستضيء بها  
وطوحت للمغيب الأنجم الزهر  
واستحكمت غربة الإسلام وانكسفت  
شمس العلوم التي يهدي بها البشر  
تخرم الصالحون المقتدى بهم  
وقام منهم مقام المبتدى الخبر  
فنع على العلم نوح الشاكرات وقل  
والهف نفسي على أهل له قبروا  
هذي المكارم لا تزويق أبنية  
ولا الشفوف التي تكسى بها الجدر  
فليت شعري من للمشكلات إذا  
حارت بغامضها الأفهام والفكر

■ ما هي الأعمال التي شاركتكم فيها إلى جانب القضاء؟  
- الأعمال التي مارستها وعملت بها خلال رحلتي في القضاء.

إن عملي في القضاء يستوعب أكثر وقتي، فوقت الدوام يكون لسماع ما لدى الخصوم والشهود، والإطلاع على الوثائق والمستندات، وضبط ذلك في دفتر الضبط، والكتابة على المعاملات التي تصدر للجهات المختصة، والتأكد من استكمال ما يلزم للقضايا المنظورة، وإذا كان ضبط القضية يحتاج إلى اختصار وتلخيص ولم يمكن اكمال ذلك في وقت الدوام فالغالب إنني أرجع إلى المحكمة بعد صلاة المغرب إلى بعد صلاة العشاء بساعتين لتنظيم مسودات الصكوك، وإذا كانت معاملة القضية كبيرة وتشتمل على أوراق مهمة لا بد من الإطلاع عليها فإنني اضطر أحياناً إلى أخذ المعاملة إلى البيت خصوصاً في أيام وليالي الخميس والجمعة وأجد في ذلك راحة واطمئناناً وسرعة في إنهاء القضية وعدم تأخيرها وأعتد في ذلك على الله عز وجل ثم على نفسي وأتذكر دائماً قول الشاعر:

هذه هي الأعمال التي مارستها  
بجانب عمل القضاء

ردي التمر ونفايته روي بالفاء وبالطاء والأول أكثر، وروي أبو الدرداء رضي الله عنه في حديثه الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: موت العالم مصيبة لا تجبر، وتلمة لا تسد، ونجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم.. الحديث»، وقال الحسن البصري رحمه الله: موت العالم تلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما طرد الليل النهار، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، فكم من تلمة بقيت بعد موت علمائنا الأفاضل الماضين لم تسد، وروي البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما عن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وروي الإمام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه عن التابعي الجليل الزبير بن علي قال شكونا على أنس بن مالك رضي الله عنه ما نلقى من الحجاج فقال أصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وروي يعقوب بن شيبه من طريق الشعبي عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مما كان قبله، أما إنني لا أعني أميراً خيراً من أمير ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماءكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاً، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنف الذكر ما نصه «ومن الناس من يروي هذا الحديث بالمعنى فيقول: كل عام ترذلون، وهذا اللفظ لا أصل له، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث» ا. هـ وأختم هذه الفقرة بالتنصير إلى الله العلي القدير وأسأله أن يغفر لنا ولجميع علمائنا المشهورين وغير المشهورين من طلبة العلم الذين توفاهم الله عز وجل وأن يجبر مصيبة الجميع بوفاتهم ويعوضنا عنهم خيراً بصلاح علمائنا الباقين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وبهذه المناسبة أذكر أبياتاً من قصيدة قالها الشاعر محمد بن عبدالله ابن عثيمين المتوفي عام ١٣٦٣هـ يرثي بها العالم

ما حك جلدك مثل ظفرك

فتقول أنت جميع أمرك  
وفي رأيي أن مثل هذا العمل رغم ما فيه من تعب  
ومشقة ففيه راحة للقاضي وعاقبته حميدة، وعند الصباح  
يحمد القوم السرى، كما أن في ذلك أيضاً راحة ومساعدة  
للكاتب لأنه يجد طريقاً معبداً يسير عليه، ومن جرب  
ذلك عرف فائدته.

■ من خلال تجربتكم الطويلة في القضاء كيف ترون عظم  
هذه المسؤولية؟

- القضاء معروف وقد ذكر الله عز وجل في عدد  
من الآيات من كتاب من كتابه العزيز، وذكره رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، كما أوضح ذلك  
العلماء السابقون واللاحقون في كتبهم المطولة  
والمختصرة وفصلوه تفصيلاً واضحاً لا يستغني عنه  
طالب العلم، والقضاء أمره عظيم وخطره جسيم وفيه  
أجر كبير لمن وفقه الله للقيام به وطبق ما ورد في الكتاب  
والسنة، والقضاء أيضاً من أكبر الأمانات التي حملها  
الإنسان، كما قال عز وجل ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا  
الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا  
بالعقل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾  
وقال عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وأن  
أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن  
يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ وقال جل وعلا  
لنبيه داود عليه السلام: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في  
الأرض فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك  
عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب  
شديد بما نسو يوم الحساب»، وقال عز من قائل: ﴿يا  
أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو  
على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً  
فاله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو  
تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ وقال في آخر

كل آية من الآيات الثلاث في  
سورة المائدة: ﴿ومن لم يحكم  
بما أنزل الله فأولئك هم  
الكافرون﴾، ﴿ومن يم يحكم  
بما أنزل الله فأولئك هم  
الظالمون، ﴿ومن لم يحكم بما

أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً منها قوله صلى الله عليه  
وسلم: «من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين»،  
وقال صلى الله عليه وسلم ليأتين على القاضي العدل  
يوم يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة، وقال صلى  
الله عليه وسلم: «إن الله مع القاضي ما لم يُجر إذا جار  
تخلى الله عنه ولزمه الشيطان، وقال صلى الله عليه  
وسلم من ابتغى القضاء وسأله وكل إلى نفسه، ومن أكره  
عليه أنزل الله ملكاً يسده، إلى غير ذلك مما هو مذكور  
في الكتاب والسنة، وصدق الله عز وجل إن في ذلك لذكرى  
لن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

■ عاصرتم مراحل مختلفة في سلك القضاء.. فما أبرز ملامح  
الاختلاف في القضايا وأعمال القضاة بين الوقت السابق  
والحالي؟

- الفرق بين القضايا وأعمال القضاة في الماضي  
والحاضر، فالذي ظهر لي حسبما اطلعت عليه في محكمة  
التمييز ثم في مجلس القضاء من الصكوك وصور  
الضبوط وإجابات القضاة على ملاحظات التمييز  
والمجلس أن القضاة القدامى الذين درسوا على سماحة  
الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالرحمن ابن سعدي،  
والشيخ عبدالله ابن حميد، والشيخ عبدالعزيز ابن باز  
والشيخ محمد ابن عثيمين، وغيرهم من المشايخ السابقين  
الذين مضوا أرى أن هؤلاء القضاة لهم فضل القدم  
ويتميزون على غيرهم في الجملة، في ضبط الأحكام  
وحسن الاستدلال وعدم الإخلال، وإيضاح المستند،  
واختصار الصكوك مع الضبط والإكمال، والفضل في ذلك  
لله عز وجل ثم لمشايخهم ومعلميهم الذين علموهم بالقول  
والفعل فنهل هؤلاء من العلم الصافي وسط تلك الحلق  
الزاهرة المنتابعة ليلاً ونهاراً والتي كانت تدرس فيها كتب  
السنة من الصحاح والمسانيد والسنان وكتب التوحيد  
والعقائد، وكتب الفقه المطولات والمختصرات، وغير ذلك،  
وأسفاً، ذهب أولئك المعلمون  
وتلك الدروس، وكأنها وكأنهم  
أحلام، وأذكر أنموذجاً واحداً  
من ذلك، كان شيخنا محمد بن  
عبدالعزیز بن رشيد قاضي  
الرس له حلقة من أوسط حلق

هذه أبرز ملامح الاختلاف في  
أعمال القضاة بين السابق  
والحاضر

## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

رحم الله الجميع، وتلك الكتب تبلغ مئات الآلاف، كما أن علماءنا الحنابلة خاصة قد أوضحوا تلك الصفات مفصلة بعبارة سهلة واضحة ومن تلك الكتب المطولات كتاب المغني المعروف المشهور، وكتاب الكافي وكتاب المقنع وغيرها، وكلها من مؤلفات شيخ المذهب عبدالله ابن قدامة، وكذا مؤلفات شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ومؤلفات متأخري الأصحاب مثل الإقناع والمنتهى، ومختصر المقنع وشروحا وغيرها مما يصعب حصره، وهذه الكتب لم تأت من فراغ أو جلوس على الكراسي، وإنما تعب مؤلفوها في جمعها وتحصيلها تعباً شديداً وبذلوها النفس والنفيس وسهروا الليالي الطوال وقطعوا الغيافي والقفار والصحاري والديار مشياً على الأقدام أو مع الأمتعة على الجمال وطافوا المشارق والمغرب تحت هطول الأمطار والبرد القارس والشمس المحرقة، وذاقوا الأمرين الجوع والخوف، ومنهم من عذب وسجن، وأوذى بغير ذنب عمله، بسبب تمسكهم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال عز وجل: ﴿وما نعلمهم منكم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ رحمهم الله رحمة واسعة، وقد انتفع طلبة العلم من القضاة وغيرهم انتفاعاً عظيماً بتلك المؤلفات في عهد مؤلفيها ومن بعدهم من العلماء من أئمة الدعوة وغيرهم من وقت الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب حتى وقت سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ونقلوا منها الكثير في كتبهم وفتاواهم كما هو مشاهد رحم الله الجميع، ولا زالت الكتب المشار إليها مرجعاً لطلبة العلم عامة وللقضاة خاصة، وكان كثير من طلبة العلم من تلاميذ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وغيره من المشايخ المشهورين يحفظون المختصرات من كتب الفقه المذكورة حفظاً جيداً، مثل بلوغ المرام ومختصر المقنع ودليل الطالب، وعمدة الفقه، وغيرها، وذلك بحرص منهم وإرشاد من مشايخهم، وقد نفعوا وانتفعوا بذلك نفعاً عظيماً، وفاقوا أقرانهم، ولكن ذلك تناقص شيئاً فشيئاً حتى انتهى كلياً بسبب انقطاع حلق المشايخ المشار إليهم بعد وفاتهم ووفاة أغلب تلاميذهم أو كلهم رحم الله الجميع وإنما لله وإنا إليه راجعون، وصدق الشاعر في قوله

راتب القاضي اليوم يعادل أكثر من  
راتب عشرين قاضياً في السابق

التعليم من عام ١٣٥٢هـ حتى عام ١٣٦٥هـ وكان عدد الطلبة حوالي عشرين شخصاً، وكان يقرأ على فضيلته في حلقة بعد الظهر في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه وتوحيد ابن خزيمة، والمنتقى لمجد الدين ابن تيمية، وغيرها من المطولات وذلك يومياً ما عدا يوم الجمعة.

وكان يوجد كثير من أهل البلد يجلسون حول الحلقة يستمعون لما يقرأ، وتمتد الجلسة إلى النصف بين الظهر والعصر، وكثيراً ما يتكلم الشيخ رحمه الله على ما يشكل، وإذا سأل أحد الطلبة أو أحد المستمعين عما يشكل عليه أجابه الشيخ، وإذا لزم الأمر إلى احضار شيء من شروح تلك الكتب فإنه يحضره أحد الطلبة من مكتبة الشيخ، وكان كل واحد من الطلبة يقرأ في كتاب خاص من تلك الكتب وكان نصيبي منها صحيح مسلم، ويعلم الله أنني لا زلت أحفظ أسماء زملائي الطلبة في ذلك الوقت، واسم الكتاب الذي يقرأ فيه كل واحد منهم، وقد حصل للجميع نفع كبير من تلك الكتب وسماعها وشروحها، ليس للطلبة فحسب، بل لهم ولجميع المستمعين من العوام المحبين للخير الملازمين للحضور، وما أكثرهم في ذلك الوقت، وأذكر أن نقرأ من أولئك العوام الطيبين إذا فات أحدهم الحضور يوماً واحداً أو أكثر، ثم حضر وانتهى الدرس وذهب الشيخ جعل يطلب من كل واحد من الطلبة أن يقرأ عليه الدرس الذي فاتته من الكتب المطولات، ويتأسف على عدم الحضور، وإذا أشكل عليه شيء لم يفهمه سأل الشيخ عنه، ومن شدة حرصهم على الخير نجد بعضهم يحفظ عدة أحاديث مهمة قد لا يحفظها بعض الطلبة، رحم الله أولئك الرجال وعفا عنهم.

■ ما هي الصفات والآداب التي يجب أن يتحلى بها القاضي أمام الخصوم والمجتمع؟

- الصفات التي ينبغي للقاضي أن يتحلى بها أمام الخصوم والمجتمع كثيرة جداً يطول حصرها، وقد أوضحها العلماء السابقون واللاحقون ضمن مؤلفاتهم الفقهية المطولات والمختصرات، من وقت الأئمة الأربعة حتى وقتنا الحاضر

هم الرجال، وغيبٌ أن يقال لمن لم يتصف بمعالي خُلُقهم رجل

وقال الآخر:

لا تعرضن ذكرنا لذكركم

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد  
أسأل الله العلي القدير أن يرحم علماءنا الماضين،  
وأن يصلح علماءنا الباقين ويجعلهم خير خلف لخير  
سلف وأن يرزقنا وإياهم وجميع المسلمين الصدق  
والإخلاص في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

■ ما هي الوصية التي تقدمونها للعلماء والقضاة؟

- وصيتي لأخواني طلبة العلم من القضاة وغيرهم،  
أوصيهم ونفسي بتقوى الله عز وجل التي وصى بها  
عباده الأولين والآخرين بقوله تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين  
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ الآية  
وبوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال  
لأصحابه رضي الله عنهم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء  
الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها  
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة  
وكل بدعة ضلالة.. الحديث. كما أوصيهم ونفسي بسلوك  
الطريق المستقيم الذي سلكه علماءنا السابقون واللاحقون  
الهادون المهتدون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من  
عهد الأئمة الأربعة ومن بعدهم الذين تمسكوا وعملوا  
بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم  
وَأَلْفُوا الْمُؤَلَفَاتِ الكَثِيرَةَ المستمدة من الكتاب والسنة في  
شتى العلوم من الحديث والتفسير والعقائد والفقه  
وغيرها حتى وقتنا الحاضر من تمسك بتلك الطريقة،  
وأحذر الجميع من بعض المحدثات في زماننا التي تخالف  
ذلك، وأذكرهم بقول بعض السلف: اقتدوا بمن مات من  
علمائكم، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، والذي جعلني  
أشير إلى ذلك هو أنه قد وجد في زماننا أناس ينتسبون  
إلى العلم ولكنهم يتكلمون في كتب أهل العلم القديمة،  
ويدعون أنها لا تناسب لغة الوقت الحاضر وأن الناس لا  
يفهمونها وأنها تحتاج إلى  
صياغة جديدة وتقسيماً إلى  
مواد فقرات وتنظيمات  
ولهجة عصرية مما ينمونه  
بعبارات خداعة، وكلمات

مركزية، وربما خدعوا من قبل أناس يقولون بألسنتهم  
ما ليس في قلوبهم، ودسوا لهم السم الزعاف تحت غطاء  
شفاف من العسل الصناعي، واغترتوا بطعمه من حيث  
يعلمون أو لا يعلمون ويصدق عليهم قول الشاعر:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم  
ويا سبحان الله! هل الذي سار عليه علماءنا الأفاضل  
وأسلافنا الأجلاء ومشايخنا الكبار من عهد التابعين  
والأئمة الأربعة ومضى عليه أكثر من ألف وثلاثمائة سنة،  
لا يكفينا أم أن هناك أيادي تعمل في الخفاء لطمس وتغيير  
مناهج علمائنا السابقين بشكل مباشر أو غير مباشر،  
وهذه شنشنة نعرفها من أحرز، منذ وفاة سماحة رئيس  
القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم ثم وفاة سماحة رئيس  
مجلس القضاء الأعلى الشيخ عبدالله ابن حميد، ثم وفاة  
سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز ابن باز  
رحم الله الجميع، وهذه الشنشنة كانت تتحرك ببطء  
ويتحين أصحابها الفرص لتحقيق رغباتهم، ولما توفي  
العلماء الأخيار المذكورون، وانتظمت السدود بعدهم كثر  
هؤلاء الناس عن أنبياهم وشمروا عن سواعدهم، يريدون  
استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويخفون في  
أنفسهم ما لا يريدون لغيرهم، ويريدون وضع تعليمات  
وتنظيمات مستوردة سواء أكانت من بلاد غير إسلامية،  
أو إسلامية بالاسم فقط، وصدق الله العظيم: ﴿أفمن زين  
له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي  
من يشاء﴾ اللهم اهدنا ولا تضلنا يا حي يا قيوم.

وصدق الشاعر إذ يقول:

يحللون بزعم منهم عقداً

وبالذي وضعوه زادت العقد  
ويظهر أن تلك الأعمال وسيلة ومقدمة لما هو أعظم  
وأطم، وأن وراء الأكمة ما وراءها، وهذا مصداق ما ورد  
في الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي  
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن  
سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر  
ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول  
الله: اليهود والنصارى؟ قال:  
فمن.. قال الشيخ سليمان بن  
عبدالله بن الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب رحمهم الله في

أسوق هذه التفاصيل ليتذكر القضاة  
ما كنا نعاني من تعب ومشقة

## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

به سلطان وأن تقولوا على الله ما تعلمون ﴿ وقال الربيع بن خثيم إياكم أن يقول الرجل لشيء: إن الله حرم هذا ونهى عنه فيقول الله كذبت لم أحرمه ولم أنه عنه أو يقول إن الله أحل هذا أو أمر به فيقول كذبت لم أحله ولم أمر به، وفي سنن أبي داود من حديث مسلم بن يسار قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ من قال علي ما لم أقل فليتبوأ بيته في جهنم، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، وجاء في الخبر أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا، وقال الصحابي الجليلان عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، إن كل من أفتى الناس عن كل ما يسئلون لمجنون، وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله، وسئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عن سبع مسائل فلم يجب عن واحدة منها وقال لا أدري، وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله ما أفتيت حتى شهد لي سبعون عالماً أنني أهل لذلك، ومع هذا كان رحمه الله ربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب عن واحدة منها، وسئل مرة عن أربعين مسألة فأجاب عن ست عشرة منها فقط وقال في الباقي لا أدري، وقال عبدالرحمن بن مهدي سأل رجل من العرب الإمام مالك بن أنس عن مسألة فقال لا أدري فقال السائل يا أبا عبدالله تقول لا أدري، قال نعم أبلغ من وراءك أنني لا أدري، وسئل الإمام الشافعي رحمه الله عن مسألة فسكت ولم يجب فقيل له ألا تجيب فقال حتى أرى الفضل في سكوتي أو في الجواب، وقال الأثرم من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله سمعت الإمام أحمد إذا سئل يكثر أن يقول لا أدري، وقال أبو داود، ما أحصي ما سمعت الإمام أحمد يسأل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول لا أدري الله أعلم وقال الإمام أحمد ما رأيت مثل سفيان بن عيينه في الفتوى أحسن فتوى منه، كان أهون عليه أن يقول لا أدري، هذا قليل من كثير مما روي عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم، والأئمة الأربعة، ومن بعدهم

شرح هذا الحديث، أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستفعل ما فعلته الأمم قبلها من الديانات والعادات والسياسات مطلقاً، وفي موضع آخر قال رحمه الله: أخبر صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفعل ما فعلته اليهود والنصارى وفارس من الأديان والعادات والاختلاف. انتهى، والكلام في هذا كثير معلوم لدى الجميع وأرجو من الله العلي القدير أن يوفق علماءنا المسؤولين والمختصين في القضاء والإفتاء لبذل جهودهم بالدفاع بالسننهم وأقلامهم عن الشريعة الإسلامية عموماً وعن أسلافهم من العلماء السابقين المخلصين ومصنفاتهم خصوصاً، وأن يسلكوا طريقة مشايخهم الكرام الذين درسوا عليهم وتعلموا منهم، وكما أخذوا عنهم العلم فليقتدوا بهم في العمل، ونعم القدوة هم رحم الله الجميع، والموضوع جدير بالاهتمام قبل أن يتسع الخرق على الراقع، والله الموفق.

■ هل من إضافات تودون الحديث عنها؟

– الإضافات التي أود الحديث عنها كثيرة جداً، وقد تقدمت الإشارات إلى كثير منها، وبقي شيء واحد يسترعي النظر وهو كثرة المفتين في هذا الوقت وسرعة تهافت الكثيرين منهم على الفتيا بعلم وبغير علم، وتساهل الناس في ذلك كثيراً، وصارت الفتاوى الآن هي حديث الناس على اختلاف طبقاتهم في مجالسهم وأسواقهم، وتجد بعضاً من الناس يمدحون المفتي فلاناً، وآخرين يذمونه ويمدحون المفتي الآخر ويقولون إن فلاناً يفتي بحل المسألة الفلانية، وبالتعامل مع البنك الفلاني، وفلان بعكس ذلك، وصاروا بين مادح وقادح، على قدر هوائهم ومصالحهم ورغباتهم وحصل في ذلك من اللبلة ما الله به عليهم، كما هو معلوم لدى الجميع وترك الحبل على الغارب وانفتح الباب على مصراعيه للداخل والخارج. والفتوى أمرها عظيم وخطرها جسيم، فالفتي يفتي بأن هذا حلال وهذا حرام وقد يغلط في ذلك فيحل حراماً أو يحرم حلالاً، وقد قرن الله عز وجل القول عليه بلا علم بالشرك به فقال في كتابه الكريم: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل

من عرف الشيخ محمد بن إبراهيم  
تعجب من سعة علمه وإطلاعه

يفتي بعلم وعدل، ونقل علماء المذهب عن الخطيب أنه قال ينبغي للإمام أن يتصفح أحوال المفتين فمن صلح منهم للفتيا أقره ومن لم يصلح منعه أن يعود، وتوعده بالعقوبة إن عاد، وقال الشيخ حمد بن ناصر ابن معمر بعد نقله لما قاله شيخ الإسلام ما نصه: فعلى هذا لا يكتفى بمجرد انتسابه إلى العلم ولو بمنصب تدریس وغيره، لا سيما في هذا الزمان الذي غلب فيه الجهل وقل فيه طلب العلم وتصدى فيه جهلة الطلبة للقضاء والفتيا، فتجد بعضهم يقضي ويفتي وهو لا يحسن عبارة الكتاب، ولا يعلم صورة المسألة، بل لو طوب بإحضار تلك المسألة وهي في الكتاب لم يهتد إلى موضعها، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وصدق الشاعر في قوله:

لقد هزلت حتى بدا من هزلها

كلاها وحتى استامها كل مفلس  
انتهى ما ذكره رحمه الله.. ويوجد جملة مسجلة بصوت سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تتكرر في كل أسبوع بالإذاعة، وأحياناً مرتين في الأسبوع، يوصي فيها بأخذ العلم من أهله العلماء المعروفين، في الحال جملة مماثلة مسجلة بصوت فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله يوصي فيها بمثل ما قاله الشيخ عبدالعزيز ابن باز، ويزيد قوله: يوجد أشخاص صغار يتصدرون للإفتاء بغير علم، ويكر استنكاره لذلك والتحذير منهم ويكرر كلمة (صغار) مرتين بصوت مرتفع.

ما تقدم ذكره قليل من كثير مما قاله العلماء السابقون واللاحقون من عهد الصحابة رضي الله عنه والتابعين والأئمة الأربعة ومن بعدهم حتى وقتنا الحاضر بخصوص الفتوى وخطرها ومنع من لم يكن أهلاً لها أن يتكلم فليها، كما تقدم تفصيله قريباً، ولأن العلماء ذكروا أن منصب الفتيا داخل في منصب القضاء عند الجمهور، واعتبروا أن الصفات المشتركة في القاضي يشترط وجودها في المفتي، وأن المفتي يبين الحكم الشرعي ويخبر به من غير إلزام، وأن القاضي يبين الحكم الشرعي ويلزم به، إذا علمنا هذا وما تقدم فهل طبقت تلك الأقوال المتقدمة على المفتين الجدد الذين كثروا في هذا الزمان، وثبتت

من العلماء رحمهم الله في الفتوى وخطرها، ويا العجب، هل كان تهربهم عن الفتوى بسبب قلة علمهم، لا والله حاشا وكلا، فهم الذين نقلوا لمن بعدهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين، وصحابته الطيبين الطاهرين، ولكن الذي حملهم على ذلك هو الورع والزهد والخوف من الله عز وجل، ومعرفتهم لحقيقة الفتوى وما يترتب عليها من أخطار، وهذا بخلاف ما عليه أهل زماننا الحاضر من المنتسبين للعلم الذين يتسابقون على الفتوى، ولا تسمع منهم كلمة لا أدري، أو كلمة الله أعلم، أو كلمة أسأل غيري..

وقال عقبه بن مسلم صحبت عبدالله بن عمر بن الخطاب أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول لا أدري، ثم يلتفت إلي فيقول أتدري ما يريد هؤلاء، يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً لهم إلى جهنم، وقال صاحب شرح مختصر التحرير ما نصه «يلزم ولي أمر المسلمين منع من لم يعرف بعلم أو جهل حاله، من الفتيا.. وقال الإمام سحنون بن سعيد التنوخي من أصحاب الإمام مالك، أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم فيظن أن الحق كله فيه، وقال ربيعة بن عبدالرحمن شيخ الإمام مالك بن أنس رحهما الله إن بعض من يفتي ببلدنا أحق بالسجن من اللصوص، وروى عنه بعض أصحابه أنه قال بعض من يفتي الآن أحق بالضرب من السراق، مع العلم أن هذين العالمين ربيعة بن عبدالرحمن وسحنون بن سعيد، قد مضى على وفاتهما أكثر من ألف ومائتي سنة، وقد تقدم قول الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ريكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، وقال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مما كان قبله إلى آخره ونقل الإمام ابن القيم رحمه الله عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفترق أمتي

على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم يجرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لا يجوز أن يُستفتى إلا من

كان عملي في القضاء يستوعب أكثر وقتي.. وكنت أرجع إلى المحكمة بعد المغرب لتتظيم مسودات الصكوك



## عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد

الله تعالى كما تقدم أسأل الله العلي القدير أن يهدينا جميعاً إلى اتباع صراطه المستقيم، وأن يوفقنا لقول الحق والعمل به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أختم ما تقدم بقول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وبما ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكِلَالَةِ﴾ وروى أشهب عن الإمام مالك بن أنس رحمهم الله أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ولا يجيب حتى ينزل عليه الوحي، وذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلِ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ الآية، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ الآية، وقال الإمام القرطبي في تفسيره، روى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي البيع شرع فقال لا أدري حتى أسأل جبريل فسأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال خير البيع المساجد وشرها الأسواق» ا. هـ. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للجددة لما سألته عن حصتها من الإرث: ارجعي حتى أسأل الناس، يعني الصحابة رضي الله عنهم.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول هذه الجملة «وأبردها علي الكبد» يكررها ثلاثاً قالوا وما ذاك يا أمير المؤمنين، قال أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول الله أعلم، ثم قال القرطبي رحمه الله بعد إيراد ما تقدم، ما نصه: «الواجب علي من سئل عن علم، أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم أو لا

صلاحيتهم، وأذن لهم بالإفتاء من الجهة المسؤولة المختصة التي تملك ذلك، أمّا أن يترك الحبل على الغارب، والباب مفتوح للداخل والهارب، فإيا ليت شعري من المسؤول عن ذلك، وصدق الشاعر في قوله فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم - بعض المفتين أو المتصدرين للفتوى حديثاً هذان الله وإياهم عندما يسأله سائل عن مسألة، يجيبه المسؤول بقوله: المسألة فيها خلاف بين العلماء أو فيها روايتان ثم يسكت، ويعتبر ذلك جواباً للسائل ويقتصر عليه، مع العلم أن الذين يسألون في برنامج على الهواء أكثرهم أو كلهم عوام من الجنسين لا يعرفون معنى الروايتين ولا خلاف العلماء وبذلك يكون المسؤول قد زاد السائل حيرة إلى حيرته، فهل يظن المسؤول أن السائل قد حفظ كتاب المفتح، أو كتاب المغني للإمام ابن قدامة رحمه الله عن ظهر قلب حتى يعرف معنى الروايتين أو الوجهين، أو خلاف العلماء بل ربما كان السائل لا يحسن قراءة الفاتحة على الوجه الصحيح كما هو الواقع، وكان المطلوب من المفتي أن يجيب بما يعتقد صحته بعبارة يفهمها السائل جيداً، وإذا كان المسؤول لا يعرف الجواب فليقل لا أدري، أو الله أعلم، كما قاله من هو خير منه من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم كما تقدم، كما أن بعض المفتين وفقنا الله وإياهم إذا سأله سائل عن وفاة مورثه، وذكر عدد الورثة، وطلب إيضاح نصيبه من التركة يجيبه المسؤول بقوله هذه المسألة تقسم على فرائض الله، ثم يسكت، ولا شك أن مثل هذا الجواب لا يفيد السائل، ولا يزيل الإشكال، بل كما يقال في المثل: يزيد الطين بلّة، ولا يجوز السكوت عليه حسبما ذكره أهل العلم وربما كان المسؤول لا يعرف الجواب ويستحي من كلمة لا أدري كما تقدم، ولا شك أن قول المسؤول لا أدري أو الله أعلم، أو المسألة تحتاج إلى بحث وتأمل، أو أسأل غيري هذه الجمل الأربع لا تكاد تسمع إطلاقاً في الوقت

الحاضر، بل ذهبت مع أهلها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ومن بعدهم من العلماء السابقين رحمهم

هناك أباد تعمل في الخفاء لطمس  
وتغير مناهج علمائنا السابقين



أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلا من العلماء، وقال الإمام مالك سمعت ابن هرمز يقول ينبغي للعالم، أن يورث جلساءه من بعده، كلمة لا أدري حتى تكون أصلاً في أيديهم، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري، ثم قال القرطبي بعد ذلك ما نصه: هذا في زمن الإمام مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فيه الفساد، وكثر فيه الطغام وطلب فيه العلم للرئاسة، لا للدراية، بل للظهور في الدنيا، وغلبة الأقران بالمرء والجدال الذي يقسي القلب، ويورث الضغائن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى، وترك الخوف من الله» انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله المتوفى عام ٦٧١هـ في العام الحادي والسبعين بعد الستمائة هجرية، أي قبل أكثر من سبعمائة وخمسين سنة، وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ومع ذكر ما تقدم في الفتوى وخطرها فإنه لا بد للناس من المفتين الأكفاء المعروفين ليجيبوا السائلين عما يشكل عليهم في أمور دينهم وديارهم من التحليل والتحرير، وكما أن البلد لا يستغني عن القضاء فكذلك لا يستغني عن الإفتاء سواء أكان القاضي أو المفتي واحداً أو أكثر حسب الحاجة، ويقول بعض الفقهاء رحمهم الله «متى خلت البلد من مفت حرم السكنى فيها» ولأن أهل العلم ذكروا أن منصب الفتيا داخل في منصب القضاء، وأن الصفات التي تشترط في القاضي يشترط وجودها في المفتي، ولأن القضاة مشغولون بأعمالهم المنوطة بهم، فإن من يعين رسمياً للإفتاء لا بد أن يكون كفوئاً وأهلاً للإفتاء معتبراً به، ومصرحاً له بذلك من الجهات المختصة المسؤولة لا سيما من يفتي على الهواء بواسطة وسائل الإعلام التي يسمعها ويراهها القريب والبعيد، أما من يسأل في بيته أو في عمله، أو في المسجد أو غيره بينه وبين السائل، وهو أهل للإفتاء فلا بأس عليه بإجابة السائل، إذا كان المسؤول متأكداً من صحة الإجابة، وإن شك فالسلامة لا يعدلها شيء، وقد تقدم شيء من ذلك ولأن المستفتين كلهم أو أكثرهم من العوام كما تقدم ينبغي للمسؤول أن يوضح الجواب للسائل باللهجة التي يفهمها،

فأكثر العوام لا يفهمون اللغة الفصحى، لأنهم لم يحفظوا ألفية ابن مالك، أو قطر الندى لابن هشام، وكثير منهم إذا سمع إجابة سؤاله من المفتي ولم يفهمه ذهب يطلب من يفسرها له، وربما يحصل منه أو ممن يسأله خطأ بسبب سوء التعبير بينهما، وقد حصل شيء من ذلك، وهذا هو ما دعاني لتوجيه النظر إلى هذه النقطة خاصة، وقد ورد في صحيح البخاري عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال حدثوا الناس بما يعرفون: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، قوله بما يعرفون أي يفهمون، ثم قال وقد ورد في رواية أخرى: ودعوا ما ينكرون، أي ما يشتبه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة انتهى كلامه رحمه الله، وقد تقدم شيء من ذلك، ورحم الله قضاتنا ومشايخنا وعلماءنا السابقين فإن أحدهم إذا كان قاضياً في البلد قام بالقضاء خير قيام، ويكون مفتياً لأهلها ومن يأتي إليها من غيرهم، ومدرساً لطلاب العلم، وإماماً، وكان أهل البلد يعتبرونه كوالد لهم في التقدير والتوقير والاحترام والطاعة فما أحسن وأجمل ذكراهم، وبها تطيب المجالس، وكانوا يقومون بتلك الأعمال تبرعاً واحتساباً ما عدا ما كان يعطى القاضي في ذلك الوقت، قليلاً من التمر والبر مرة واحدة في السنة، مقابل عمل القضاء فقط، وقد لا يكفيه ذلك وأسرته، إلا شهراً أو شهرين، وذلك كان قبل حوالي ستين سنة قبل أحداث الرواتب الشهرية للقضاة وغيرهم، وقد جعل الله فيهم وفي علمهم وتعليمهم من البركة والثمرة الشيء الكثير، فرحم الله أولئك العلماء الصادقين المخلصين وغفر لنا ولهم وجميع المسلمين وجمعنا بهم في جنات النعيم وأسأل الله عز وجل أن يصلح علماءنا الباقين ويرزقنا وإياهم الصدق والإخلاص في القول والعمل، وأن يهدينا جميعاً إلى الصراط المستقيم والعمل بكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وعلماءنا وطلابنا ونياتنا وذرياتنا واكفنا شر الفتن ما

كان أهل البلدة يعدون القاضي والداً لهم من باب التقدير والتوقير والاحترام والطاعة